مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة بتيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد: 10/ العـدد: 01 جوان (2026)، ص.ص312-322

مصطلح الشعريات عند عبد الملك مرتاض بين التراث والحداثة

The term poetics according to Abdul Malik Murtada between heritage and modernity.

د. حميدة قادوم

hamida.gadoum@univ-emir.dz

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة-

(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2026/30/02 تاريخ القبول: 2026/04/19 تاريخ النشر: 2026/06/02

ملخص:

يعدّ عبد الملك مرتاض من أبرز الأعلام الأدبية والنقدية الجزائرية، أشتهر بدراساته الموسوعية التي تجمع بين التراث العربي الأصيل والثقافة الغربية وخاصة منها الفرنسية والانجليزية، ممّا جعل اسهاماته التّنظيرية والتّطبيقية تتغذى بازدواجية الرؤية التراثية والحداثية. بناء على ما تقدم، تظهر اسهاماته الجادّة في التّنظير النّقدي والأدبي على حدّ سواء، ممّا قادنا في هذه الورقة البحثية إلى ضرورة الوقوف عند جانب من اسهاماته النّقدية حول مصطلح الشعريات الذي أفرد له كتابا موسوما" قضايا الشعريات، متابعة وتحليل لأهم قضايا الشعر المعاصرة"، وذلك بغية الكشف عن امدادات الباحث لهذا المصطلح من خلال مقاربة نقدية لمؤلفه.

الكلمات المفتاحية: الشعريات، النقد، عبد الملك مرتاض، التراث، الحداثة.

Abstract:

Abdel Malik Mortad is considered one of the most prominent Algerian literary and critical figures. He was famous for his encyclopedic studies that combined the authentic Arab heritage with Western culture, especially French and English, which made his theoretical and applied contributions nourished by the dual vision of heritage and modernity.

Based on the above, the deceased's serious contributions to both critical and literary theorizing appear, which led us in this research paper to the necessity of examining one of his critical contributions on the term poetics, for which he dedicated a book entitled "Issues of Poetics, a Follow-up and Analysis of the Most Important Contemporary Issues of Poetry

Keywords: *poetics, criticism, Abd al-Malik Murtad, heritage, modernity*

مقدمة:

مصطلح (الشعريات) من المصطلحات التي ظهرت في النّظريات الغربية الحديثة، وتعود جذورها إلى الفكر الأرسطي من خلال كتابه "فنّ الشعر " وحديثه عن نظريه المحاكاة، وهو من المفاهيم التي ما يزال الاضطراب في تحديدها قائما، ويُعزى ذلك إلى طبيعة المصطلح وحقيقة ترجمته من اللّغات الأجنبية إلى اللّغة العربية، ولعل القلق القائم بشأنه يقع غالبا على استعماله مرادفا لمصطلح (الشعرية) مفردا. لذلك فقد اعتنى العلامة الراحل (عبد الملك مرتاض) بتفاصيله، ووظيفته، وتوضيح مقاصده واستعمالاته التي ينبغي أن يقف عندها كل باحث، لأنّ" النّقاد العرب المعاصرين يطلقون مصطلح الشعرية وهم يريدون به غالبا ما يريد به النّقاد الغربيون من وراء إطلاقهم مفهوم الشعريات أو poetics، poétique"1

ولعلّه من نافلة القول في هذا الصدّد، أنّ التّعامل مع المصطلح الغربي الواحد ومنحه عدّة تسميات في اللّغة العربية يضع الباحث في حلقة من القلق والتّوتر الذي يجعله يرادف بينها جميعا دون تدقيق ولا تمحيص، ذلك أنّ منطلقات (الشعريات) عند الغرب تختلف عن منطلقاتها عند العرب.

والقول بأنّ مصطلح (الشعريات) ظهر في النّقد الغربي لا يعني أنّ العرب قد أهملت المفهوم ولم تعرفه من قبل، ففكرة الشعرية متجذّرة في التراث العربي منذ القديم، وقد تناولها النّقاد الأوائل في إطار تحديدهم لمفهوم الشعر على مدار قرون خلت، لذلك رأى (عبد الملك مرتاض) أنّ مصطلح (الشعريات) يختلف من ناحية التّعريف، والوظيفة، والأدوات من ثقافة إلى أخرى، وحاول أن يحددها وفق هذا الاختلاف فوزعها على حقلين:

الأول يحصر مفهوم (الشعريات) في " دراسة جنس الشعر من حيث هو وحده، أو الدلالة على الانتماء إليه"2 بمعنى يصبح الشعر مجال اهتمام الشعريات وينحصر فيها، وهذه العلاقة تدفعنا إلى البحث في مفهوم الشعر ومنطلقاته الأولية كما وردت عند النّقاد الأوائل هذا من جهة، والانفتاح على المفهوم الحداثي للشعر والشعرية من جهة أخرى.

وأمّا **الحقل الثاني**؛ فهو الذي ينظر إلى (الشعريات) بوصفها نظرية عامة للأعمال الأدبية، ومن هنا يخرج معناه من الخاص إلى العام، من الشعر إلى الأدب عموما، وهذا المفهوم استمده الباحث من المجلة الفرنسية الشهيرة" poétique,revue de théorie et d'analyse litteraire" وهذا ما يؤكد أنّ الشعريات عند الغرب تنفتح على كل الأجناس الأدبية وتتناولها بالدّراسة والتّحليل.

من هذا المنطلق أراد الباحث في هذه الدّراسة التأكيد على الفارق الحاصل بين مصطلحي "الشعرية" و"الشعريات" وأنّه لا ينبغي التّعامل معهما باعتبارهما معنى واحد، لأنّ الشعرية يقابلها في الأجنبية poéticité، وتعني عند (جون كوين) " علم موضوعه القصيدة الشعرية ، وكان للفظ الشعر في العهد الكلاسيكي معنى واضحا دون غموض، فقد كان معناه يحدد جنسا من الأدب(...)" 3

يبين القول أعلاه أنّ مجال الشعريات كما ورد عند (جون كوين J.Cohen) ينحصر في كل ما هو شعري عروضي فقط، وهو بهذا يحدد معاييره، وشروطه بالتركيز على الجانب الشاعري الرومانتيكي في النّص، وما يحققه من انطباع جمالي ويهمل بقية الأجناس الأدبية الأخرى. وفي ظلّ هذا التّداخل المفاهيمي تحاول هذه الدّراسة أن تقف عند مصطلح الشعريات عند (عبد الملك مرتاض) باعتباره أحد أبرز أقطاب النّقد العربي والمغاربي، وكيف استطاع أن يحدد شروطه، ومعاييره، ووظيفته من خلال الاستعانة بالتراث العربي الأصيل من جهة، والاستفادة من المفاهيم الغربية الحديثة من جهة أخرى؟

1-الشعريات في التراث العربي:

لجأ الناقد (عبد الملك مرتاض) في بحثه وتنقيبه عن مفهوم (الشعريات) إلى التراث العربي القديم، معتدا بتراث الأوائل ومؤكدا على حضور مفهوم الشعريات عندهم بطرائق مختلفة، فحدّد من النّقاد ثمانية ممّن اهتموا بماهية الشعر وكانوا أكثر دقّة في تحديد شروطه ومعاييره، ولأنّ الشعريات في اللّغة العربية مشتقة من الشعر، فإنّه لا بد أن تكون منطلقات الماهية والمفهوم متعلّقة بتحديد مفهوم الشعر عند العرب.

ومن جميل ما قيل في الشعر عند (محمد ابن سلام الجمحي) (139-231) الذي يعتبر أقدم النّقاد العرب، وممّا استفاد منه (مرتاض) قوله أنّ" للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات: منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللّسان من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا تعرفه بصفة ولا وزن دون المعاينة ممّن يبصره ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم، لا تعرف جودتها بلون ولا مسّ ولا طراز ولا وسم ولا صفة، ويعرفه الناقد عند المعاينة"4

إنّ المتمعن في هذا الشاهد يفهم أنّ (الجمحي) قد استفاض في الحديث عن (الشعريات) من خلال التّعريف بالشعر الذي جعله صناعة وثقافة، فالصناعة تحتاج إلى موهبة، وفكرة، ورؤية وروح، فتفرز لنا أشكالا جميلة لا يميز بينها إلاّ ناقد متمرس خبير بتفاصيل الصناعة الدقيقة.

والشعر كذلك يحتاج إلى معايير وشروط لا يستطيع الكشف عنها إلا متذوق حذق عارف ببراعة اللفظ، وجميل السبك في المعاني. وهو يوازن بين الصناعة والشعر لأن كلاهما يتطلب خبيرا لتحديد جودة المنتوج، لذلك نجده" يتحدث أيضا عن كيفية اهتداء النّاقد إلى معرفة المستوى الفنّي في الكتابة الشعرية، فلا ينخدع في حكمه، ولا يقع في الغفلة حين يدسّ عليه النص الشعري"5

وهذا ما جعله بحثا في الشعريات من دون التصريح بماهية الشعر وصفته، ما دفع بالناقد (عبد الملك مرتاض) إلى اعتبار (نظرية الجمحي) أهم منطلق في تحديد مفهوم الشعريات بوصفه الشعر صناعة، وبهذا اختزل المفهوم في وظيفته ومجال اشتغاله، لأنّ الشعر بهذا المعنى (صناعة)" لا يختلف عن أي صناعة من الصناعات الجميلة الماثلة في الفنون السمعية البصرية"6 وذلك باشتراط حضور الحواس في تحديد الجمالية الشعرية كالعين والأذن واليد واللسان، وهي بالنسبة ل (مرتاض) أقصى مراتب التّذوق الفنّي وأصدقها.

إنّ فكرة صناعية الشعر التي جاء بها (ابن سلام الجمحي) ألهمت الباحث كثيرا في تحديد مفهوم الشعريات، لذلك تابع الفكرة وتوسّع فيها مستفيدا ممّا قدمه (ابن طباطبا) و(الجاحظ)، فوجد أن هذا الأخير تناولها من زاوية أخرى، وحدّدها في" إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج(...) فإنّما الشعر صناعة وضرب من النسج، وجنس من التّصوير."7

ولا يبتعد (الجاحظ) في تعريفه للشعر عمّا جاء به (الجمحي)، غير أنه يؤكد على جملة من الشروط التي تبني نصا شعريا عربيا؛ كالوزن، وتخير اللّفظ، وسهولة المخرج، وهذه متعلّقة بالجانب الجمالي الذي ينبغي أن يثيره الشاعر في نفس المتلقي. وأمّا قوله (فإنّما الشعر صناعة وضرب من النّسج) يؤكد من خلاله فكرة الجمحي فيظهر الاتفاق على القول أنّ الصناعة لا يجيدها كل انسان، والشعر صناعة، ومنها النّسيج (نسج الأثواب) وهذا غير متاح لكل الناس. وأمّا قوله

(جنس من التصوير) فهذا يظهر فطنة الجاحظ إلى اشتراط التصوير الذي يمكن من خلاله تمييز جيد الشعر من رديئه باعتباره مكونا مهما في الشعر.

2-الروافد التراثية لمصطلح الشعريات عند عبد الملك مرتاض:

إن المتمعن في الروافد التراثية التي استقى منها (مرتاض) مفهوم الشعريات يلاحظ تأكيده على مفهوم الشعر ومكوناته عند النقاد القدامى، فبعد أن أكّد على فكرة "صناعية الشعر" كما هو الحال عند (الجمحي) و(الجاحظ)، نجده يقف مرة أخرى عند (ابن قتيبة) ليؤكد أنّ الشعريات عنده تنحصر في قضيتين هما (قضية القديم والجديد)، وقضية (تقسيم الشعر إلى أربعة أقسام).

أمّا **الأولى** فيؤكد من خلالها أنّ جودة الشعر ليست مرتبطة بالضرورة بزمن انتاجه، فليس الجديد أجود من القديم والعكس صحيح، وحجته في ذلك أنّ الله عز وجل لم يقصر" العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوما دون قوم(...) فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم ممّن يعددون محدثين(...) ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم، وكذلك يكون من بعدهم، لمن بعدنا"8

وأمّا **القضية الأخرى**؛ تقسيم الشعر إلى أربعة أقسام، فيؤكد (مرتاض) من جهته أنّ" ابن قتيبة أول من قسم الشعر تقسيما ينطلق من المراوحة بين اللفظ والمعنى، والجودة والرداءة"9

وممّا لا شك فيه أنّ النّاقد (عبد الملك مرتاض) قد تطرق في بحثه حول مفهوم الشعريات وحقيقة ورودها في التراث العربي الأصيل انطلاقا من القضايا التي تطرق إليها الأوائل وفصلوا فيها، محاولا من خلال ذلك إثبات خوضهم في (الشعريات) عن طريق قضايا الشعر، المتمثلة أساسا في:

أ-تعريف الشعر؛ كما فعل (ابن طباطبا العلوي) والشعر عنده" كلام منظوم بان عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم بما خُصَّ به من النّظم الذي إن دلّ به عن جهته مجّته الأسماع، وفسد على الذّوق، ونظمه معلوم محدود" 10.

والواضح من هذا التّعريف أنّه تعريفا أدبيا لا منطقيا يركز على كونه كلاما منظوما يختلف عن المنثور الشائع بين عامة المتخاطبين، أي لا يقوله إلا رجل امتلك موهبة النّظم مع الإيقاع والإبداع، في مقابل تعريف (ابن جعفر) بأنّه (كلام موزون، مقفى، يدل على معنى."11

وهو تعريف دقيق ولكنه غير مسلم به عند عموم أهل الشعر لتركيزه على الجانب الشكلي من النّظم الموزون والقافية الموحدة وما دلّ على معنى، حيث يغفل هذا التّعريف سمة الإبداع التي تتجلى في التّخييل والتّصوير والتّأثير في المتلقي.

ب-أقسام الشعر؛ ذهب مرتاض في هذه القضية إلى تقسيم (ابن قتيبة) للشعر وهو عنده أربعة أقسام لخصها في:

- ✓ ما حسن لفظه من الشعر وجاد معناه.
- ✓ ما حسن لفظه واحلولى ولكن دون اشتماله على مضمون نبيل أو عميق.
- ✓ ما حسن معناه وقصرت ألفاظه عنه.
- ✓ ما ردؤ معناه وردؤ لفظه.

والواضح من تقسم (ابن قتيبة) للشعر أنه من الأوائل الذين اهتموا بقضية (اللفظ والمعنى) بعد الجاحظ، ليفتح المجال لمن جاء بعده للبحث في هذه القضية ولكن وفق تسميات مختلفة على نحو؛ (الشكل والمضمون) و(الإطار

والمحتوى) و(الرؤية والفنّ). وهي تصبّ جميعها في مضمار (اللفظ والمعنى) مع تركيزه على المعنى أكثر، ورفض التكلف والصنعة في قول الشعر، فعاب على (الخليل بن أحمد) تكلّفه في بعض ما نظم معلقا على ذلك بقوله «وهذا الشعر بيّن التكلف رديء الصنعة. وكذلك أشعار العلماء، ليس فيها شيء جاء عن إسماح وسهولة، كشعر الأصمعي، وشعر ابن المقفع، وشعر الخليل، خلاف خلف الأحمر، فإنه كان أجودهم طبعا وأكثرهم شعرا"12

ج-أسس الشعر: وحدّدها (الجاحظ) في ستة؛ الوزن، وتخير اللّفظ، وسهولة المخرج، وصناعية الشعر، وضرب من النّسيج، وجنس من التّصوير.

إنّ الأسس التي حدّدها (الجاحظ) للشّعر تتقاطع في مجملها مع ما أقرّه النّقاد في عصره، غير أنّه يركز على اللّفظ أكثر من المعنى، وتأكيده على اللّفظ أكثر من غيره، وهو ما عبّر عنه بمقولته الشهيرة "المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنّما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللّفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنّما الشعر صناعة وضرب من النّسيج وحسن التّصوير"13.

د-شروط الشعر: ولخّصها (ابن سلام الجمحي) في؛ **صناعية الشعر** وأضاف (الجاحظ) شرط **القصدية** وهي من تمام الشعرية عند المتأخرين أمثال (الزمخشري) الذي يراها شرطا مهما في تعريف الشعر، فهو عنده(كلام موزون على سبيل القصد) .

هـ-عناصره؛ وحدّدها (قدامة بن جعفر) في أربعة عناصر: اللّفظ، والوزن، والقافية، والمعنى.

وبناء على كل ما تقدم في مفهوم الشعر ومكوناته، وصل (عبد الملك مرتاض) إلى أنّ (قدامة بن جعفر) من النّقاد الأوائل الذي استطاع أن يصل إلى مفهوم ثابت في الحديث عن قضايا الشعريات، وأكّد ذلك بقوله" فلعلّه الوحيد من بين القدماء الذي اجتهد في تفصيل الحديث عن قضايا الشعرية بمعظم مكوناتها التي كانت سائدة على عهده، وفيما قبل عهده، وما قد نرى فيه من تعثر في مستوى المفْهمة هو شأن لا يزال يقوم في كثير من كتاباتنا المعاصرة نفسها، ولا ينبغي له أن يغض من قيمته شيئا، ولا سيما إذا كان هو أوّل ناقد عربي يجنح إلى مفْهمة المفاهيم، وتأصيل المصطلحات المتمخضة لنقد الشعر، على نحو منهجي رصين."14

لقد استطاع (مرتاض) في بحثه عن (الشعريات) الإفادة من التراث العربي من خلال مواقف وآراء النّقاد الأوائل، ومفْهمة الشعر عنده، خاصة عند من ذكرنا في هذا العنصر، غير أنّ اعتداده بالتراث العربي وبحثه في حفريات المعرفة البلاغية القديمة لم يمنعه من الوقوف عند كثير من الآراء التي تعارض فيها مع أصحابها، وبيّن من خلالها أنّها تخالف المنطق والفهم الصحيح للشعر والشعريات.

ومن ذلك كان موقفه من (الجرجاني) بأنّه" لم يضف إلى مفهوم الشعر شيئا ذا بال، وإنّما فصّل ما يرتبط بهذه المفهمة وهو الصراع بين القديم والجديد" 15 وحجته في ذلك أنّ (قدامة بن جعفر) كان قد سبقه إليها بطريقة منهجية، كما أكّد (مرتاض) مرة أخرى نقده ل (ابن رشيق القيرواني) في تعريف الشعر ومفهمة الشعريات؛ لأنّه يكرر ما ذكره (قدامة) في هذا الصدد، هذا من جهة، وتأكيده على شرط القصدية في الشعر من جهة أخرى، وأمّا عن نقده واعتراضه على شرط القصدية فنابع من اعتقاده بأنّ" القصد والنية هما من مصطلحات الفقهاء في السلوك التّعبدي، فلا مدعاة لاصطناعها في مسألة تجديد جمالية الشعر. وقد كنا رأينا أنّ الشاعر إذا كان محروما مفحما،

باصطلاح القدماء، لا يشفع له التّعلق بالنّية، ولا إخلاص القصد في قرضه الشعر، إذا خرج له نظما ركيكا، ونسجا من الشعر سخيفا."16

وقد يطول بنا السياق كثيرا إذا ما تتبعنا مسار تشكّل الشعريات عند النّقاد العرب الأوائل، كما توقف عندهم (مرتاض) وأفاد منهم، لذلك نخلص إلى حقيقة مفادها أنّ الشعريات كمجال للبحث عن الجمالية الشعرية أمر وارد في تراثنا العربي الأصيل.

وأكد (مرتاض) من خلال مؤلفه سالف الذكر أنّ (ابن قتيبة) أول من اهتم بتقسم الشعر إلى لفظ ومعنى، وجيد ورديء، و(أبو حازم القرطاجني) أول ناقد عربي بحث في نظرية (اللفظ والمعنى) بطريقة أكثر تطويرا ممّا جاء به الأوائل إلى عهده "فلم يفته أن يتوقف عند مسألة جمالية ونفسية معا، وهي الحديث عن الإيقاع المتلائم مع المضمون المتناول، ولم يشغل الشيخ بجمالية النّسج الشعري إلاّ قليلا .."17

فكانت تلك منطلقات الشعريات عن النّقاد العرب عموما مع تفاوتهم واختلافهم في طريقة التناول. وتظل مجهوداتهم جميعا من أكبر الأعمال النقدية في التراث العربي الإسلامي كما أكد ذلك مرتاض.

3-الروافد الغربية لمصطلح الشعريات عند عبد الملك مرتاض:

إنّ الكلام عن الشعريات في النّقد الحديث يقودنا بلا شك إلى النّظريات الغربية التي أفاد منها نقادنا العرب واعتمدوا عليها في محاولة التأسيس لشعريات عربية حديثة، ولعل أول ما يصادفنا في هذا الصدد هو إشكالية المصطلح بين العرب والغرب. وعلى ما يبدو أن الناقد الراحل عبد الملك مرتاض قد أفاد كثيرا من الثقافة الغربية –لا سيما الفرنسية – فيما يخص "نظرية الشعريات La poétique" وقد أكد ذلك في مواضع كثيرة من كتابه، ولعل السبب في اعتماده الثقافة الغربية راجع لكون اللغة الفرنسية جامعة لأعمال وكتابات كثير من الأدباء أمثال: أمبرتو إيكو، وسبينوزا، وكانط، وكلود لفي سطروس، وغيرهم.18

وعليه يمكن القول أن (عبد الملك مرتاض) تتبع مفهوم الشعريات عند الغرب من خلال عدد من النّقاد والأدباء محاولا الخروج بمفهوم شامل لهذا المصطلح وفق رؤية فكرية وفلسفية وأدبية ونقدية وغيرها. ولعله في هذا الصدد يحاول أن يحدث توازنا بين الباحثين العرب في الشعريات، فاقتصر في بحثه على ثمانية نقاد سبق الحديث عنهم، وبيّن هؤلاء الغربيون رغبة في إيجاد مفهوم شامل ومقنع للعرب والغرب على حد سواء، فنجده ينطلق من موقف السيدة الفرنسية مدام دي ستايل في مفهومها للشعر وللأدبية، ويستدل بقولها " الشعر يجب أن يكون مرآة أرضية للألوهية ويعكس الألوان والأصوات والايقاعات، وكل أنواع جمال الكون" 19

فيرى أنّ في هذا التّعريف جانب من النزعة الصوفية تجمع بين جمال الشعر وأناقة اللّغة وصخب الموسيقى وثراء الإيقاع.

وبعد تعرضه لعدد من الأدباء الغربيين أمثال (فولتير) و(باسكال) و(ليتري) و (دي ستايل) خرج بحقيقة أن الشعر في المفهوم الكلاسيكي الغربي لم يكن معارضا للمفهوم العربي ولا مناقضا له، ويستدل على ذلك بمفهوم (روبير ستيفنصون Rober Stevenson) الذي يتفق مع المفهوم الذي قدّمه (قدامة بن جعفر) و(ابن رشيق القيرواني)، وينحصر عند هؤلاء جميعا "في الانسجام الايقاعي، والميزان العروضي، والقافية، والعناية بالنغم الموسيقي والفزع إلى اللّغة المجازية."20

أما النّقاد الجدد فقد رأوا أنّ المفهوم التقليدي لا يتلاءم مع العصر التكنولوجي الذي يعيشونه، وكان ذلك في منتصف القرن التاسع عشر ومنهم (أندري جيد) الذي حافظ في تعريفه للشعر على رؤية العرب الأوائل ، ثم ظهر بعده (جان كوين) الذي يعتبر من أشهر وأفضل النّقاد الفرنسيين الذين تناولوا الشعريات في أدق تفاصيلها، وذلك من خلال كتابه الشهير (Structure de la langue poétique) الذي يؤكد فيه" أنّ الشعريات علم موضوعه القصيدة الشعرية(...) إن مصطلح الشعر مرّ بتحول يتمثل في الانتقال من العلّة إلى التأثير، ومن الموضوع إلى الذّات، وكذلك يكون مفهوم الشعر Poésie هو الانطباع الجمالي الخاص الذي ينشأ عن فعل الشعر، وانطلاقا من ذلك أصبح الشائع الحديث عن عاطفة أو وجدان شعري."21

خلص (مرتاض) من هذا التعريف أن الرومانسية كانت وراء التحولات الكبرى للشعريات، فبعد أن كانت الكلاسيكية تحكم الشعر وتسيره بإخضاعها لمنطقة العقل، تحول ذلك إلى فعل التلقي وأثره الجمالي في النفس على الوجه الطبيعي، وبناء على هذا التوجه الذي انتهجه(كوين) تمكن (مرتاض) من تتبع مسار الشعر وبنيته وشروطه كما وردت عنده.22

ثم انتقل بعدها إلى مفهوم الشعر بما يكتبه (مالارميه 1842-1898 Steven Mallarmé) إعجابا به وبطريقته في التعبير بلغة تكسر المعتاد، لغة سحرية وصفها سارتر بقوله" إنّ الغاية الكبرى من الشعر الفرنسي منذ مالارميه إلى السرياليين هي كما أتمثلها في نفسي، هذا التدمير الذّاتي الذي يتسلط على اللّغة."23

كما تعرض (جان كوين) إلى قضية مهمّة لا تزال تثير إشكالا كبيرا بين النقاد، ويتعلق الأمر ب "قصيدة النثر"Poéme en prose" التي يراها ناقصة الشعرية La poéticité، إذ تغفل المستوى الإيقاعي وتختبئ تحت المستوى الدلالي ممّا يجعلها غير معارضة لما تطلق عليها مصطلح القصيدة الدلالية. 24

لذلك فقد ثبت أن الراحل (عبد الملك مرتاض) أفاد كثيرا من طروحات (جان كوين) في نظرية الشعر، والبحث في مفهوم الشعريات مثلما أفاد من جون بول سارتر وبول فاليري وغيرهم. وعلى سبيل التمثيل نجد أن بول فاليري يحدد مفهوم الشعر ويربطه بأي شيء جميل نحسه، أي الشعرية عنده هي الجمالية التي نشعر بها في تعبير أحدهم.

بناء على ما سبق، نؤكد أن مرتاض باعتماده على كتابات الغربيين في هذا الشأن، حاول أن يجمع بين المفاهيم الغربية جميعا من أجل الوصول إلى مفهوم شامل جامع للشعرية وذلك من خلال رصفهم للشعر باعتباره استثناء وكتابة خاصة لها شروطها وظوابطها الفنية، فوقف عند الفيلسوف الفرنسي نيكولا ماليبرانش Male Nicolas Branche- ليثبت أن مفهومه للشعرية يطابق ما جاء به (حازم القرطاجني)، فكان تعريفهما للشعريات من حيث هي أفكار ومعان.25 .

في حين كان موقف (مرتاض) من (رومان جاكبسون) موقف الناقد الذي لا يتفق مع القائل، ذلك أن (جاكبسون) قد عمد في تعريفه للشعريات من خلال التساؤل عن مفهوم الشعر قائلا: ما الشعر؟ ثم بدأ إجابته بطريقة فلسفية لم تزد الأمر إلا غموضا ولبسا، فنجده يقول" إذا أردنا أن نعرّف هذا المفهوم، فيجب علينا أن نعارضه، بما ليس شعرا، ولكن ليس من السهل اليوم تحديد ما ليس شعرا.26

بهذا دخل (جاكبسون) في حالة البحث الفلسفي عن مفهوم الشعر عن طريق البحث عن ضدّه، وهذا ما لم يقبله الناقد (عبد الملك مرتاض) لأنّ قاعدة معرفة الشيء بضدّه لا تصلح مع كل المفاهيم الإنسانية وخاصة المعاصرة، ومفهوم الشعر هو أحدها إذ يحتاج إلى رؤيا واحدة لتحديد حدوده وصفاته، فالشعر" لا هو واضح المكونات، ولا هو متفق عليه في معجم النظريات، شرقا وغربا، وقديما وحديثا، وخصوصا بعد أن خالجته أشكال جديدة من الكتابة كلها تدعي أنه الشعر ولا سواء غيره. ثم يقال لنا من بعد كل ذلك علينا أن نضربه بما يناقضه لكي نفهمه، فهذا مما يعسر تقبله في التصور ويعتاص توهمه في الأذهان"27.

والمتأمل في تعريف (جاكبسون) للشعر أولا يفهم حجم الغموض واللبس الذي يقيد به تعريفه، فهو يعتقد بأن الشعر ما لا يمكن قوله، وهذا تعميم يفضي إلى جعل كل ما على الأرض ليس شعرا، ومن الشعر ينتقل إلى الأدب فيجعله مرتبطا بالأدبية وليس بالعلم الذي يدرس الأدب. وهذه مشكلة أخرى تقف أمام وضع تعريف دقيق للأدبية، لأنها تجعلنا نتساءل: ما الأدبية؟ وكيف نعرفها؟ وما هي شروطها؟ وغيرها من الأسئلة الممكنة التي تحتاج إلى بحث آخر يركز على مصطلح الأدبية عند العرب والغرب على حد سواء.

لقد وقف (مرتاض) عند هذا الإشكال الحاصل على مستوى لفظ الأدبية، وأكد أنه من وضع (رومان جاكبسون) حتى وإن سبقه إليه (ميشال أريفي) ويرجع ذلك إلى قدرة جاكبسون على التميز بين ما هو شعري وما هو غير ذلك، من خلال سؤاله متى يكون النّص أدبيا ومتى يكون غير أدبي.

ويظهر الإشكال القائم الذي انتبه إليه (مرتاض) في هذه النقطة هو معضلة النقل والتّرجمة من الإنجليزية إلى الفرنسية، ذلك أنّ (جاكبسون) يطلق مصطلح la sience littéraire على العلم الذي يتناول موضوع الأدبية فنقل عنه (ميشال أريفي) تعليقه؛ (أي ما يسمح بتمييز ما هو أدبي)، من غير ما هو أدبي، ويشير إليه بمصطلح (موضوع الدراسة الأدبية) ولا يذكر لفظ العلم. في حين اعتمد كل من كورتيس وكريماس في ترجمتهما على مصطلح (العلم الأدبي).

ويرى (مرتاض) أنّ "النّص الذي أورده ميشال أريفي قد يكون أدق وأوضح، لكنه يظل مع ذلك غير ذي قيمة نظرية مادام (جاكبسون) لم يحدد المعايير الصارمة التي يتم الاحتكام إليها لتصنيف العمل الإبداعي إما على أنه أدب، وإما على أنه غير أدب، وذلك بما يشتمل عليه من أدبية." 28

تظل قضية تحديد مفهوم واضح ودقيق للأدبية مرتبطة بما قدمه (جاكبسون) ووفق فلسفته عل الرغم من المحاولات الشارحة التي قدمها (ميشار إريفي)، وهذا ما يؤكد ارتباط مفهوم الشعرية والأدبية برومان (جاكبسون) أكثر من غيره، خاصة بعد عرضه لخطاطته الشهيرة حول الدائرة الاتصالية وتحديد عناصرها.

إن التوسع الحاصل في نقد الغربي حول موضوع الشعرية وإشكالية تحديد الأدبية لايزال قائما بين الباحثين وهو ما أثبته مرتاض في كتابه، وما استدل عليه في كثير من المواضع والهوامش التوضيحية التي استعان بها وبرر من خلالها إفادته من الرؤية الغربية التي تتوافق مع الرؤية العربية التراثية خاصة، فلم يتجاوز أحد منهم. وهو ما شكل لديه وعيا حقيقيا بكيفية التعامل مع المصطلحات في إطار الحفاظ على التراث العربي الأصيل والإفادة من البحث الغربي الحديث بغية الوصول إلى مفهوم جامع بإمكانه أن يقرب الرؤية الحقيقية للباحث في هذا المجال.

-خاتمة:

إنّ الإشكالية التي تطرحها المصطلحات في الأدب العربي متشبعة وعديدة، ولعل أهمها ما تعلّق بجذورها التّراثية عند العرب القدامى هذا من جهة، والمفاهيم الغربية التي خضعت للترجمة بمصطلحات عربية متعددة من جهة أخرى. ولأن كثير من الباحثين المحدثين في علم المصطلح يجدون حرجا في تحديد المصطحات بدّقة، فإنّ بعضهم استطاع الخوض في هذا المضمار من دون التّملص من التراث العربي ومفاهيم القدامى على غرار الباحث الراحل عبد الملك مرتاض الذي أكّد تمسكه بالإرث العربي القديم مع الإفادة من طروحات النّقد الغربي الحديث.

وعليه يمكن حصر نتائج هذه الدراسة في الآتي:

- ✓ استطاع مرتاض أن يفصل بين المفهوم العربي التراثي لمصطلح الشعريات وبين المفهوم الغربي الحديث.
- ✓ وأكّد على وجود فرق مفاهيمي بين لفظ الشعرية والشعريات.
- ✓ أكّد على أسبقية النّقاد القدامى أمثال الجمحي وابن طباطبا والجاحظ في شرح وتفصيل مصطلح الشعريات.
- ✓ أكّد مرتاض في مؤلف سالف الذكر تأثره بنظرية الجمحي وتبنيه لشروط الشعرية التي حددها.
- ✓ أثبتت الدّراسة كذلك أنّ التوتر والاضطراب الحاصل حول مصطلح الشعريات La poétique باللغة الفرنسية وبين المصطلح العربي يرجع إلى إشكالية الترجمة إلى اللغة العربية.
- ✓ أكّد مرتاض في تحديد مصطلح الشعريات اعتماده على الثقافة الغربية الفرنسية أكثر من غيرها لكونها جامعة لأعمال وكتابات أكبر الأدباء أمثال: أمبريتو إيكو، وسبينوزا، ودي ستايل، وغيرهم.
- ✓ إنّ المفهوم الكلاسيكي الغربي لمصطلح الشعريات لا يعارض المفهوم العربي ولا يناقضه واستدل على ذلك بأعمال فولتير وباسكال وليتري ودي ستايل.
- ✓ تحوّل مفهوم الشعريات عند الغرب مع المدرسة الرومانسية من المفهوم الخاضع للعقل في العصر الكلاسيكي إلى ربطه بالانطباع الوجداني الجمالي الخاص، وبدأ هذا التّحول مع أندري جيد ومالارميه وجان كوين.
- ✓ أثبتت الدّراسة أنّ الناقد الراحل مرتاض استطاع أن يوازن في تحديده لمصطلح الشعريات بين المفهوم العربي، من خلال العودة للنقد العربي القديم وبين طروحات النقد الغربي الحديث. فوافق بعضهم ممن سبقت الإشارة إليهم وعارض بعضهم الآخر على غرار رومان جاكبسون في دعوته لتعريف الشيء بضده.

وفي الختام، حرّي بنا أن نشيد بجهود النّاقد العلاّمة الراحل عبد الملك مرتاض في تقديم هذه الشروحات والتّفصيلات حول مصطلح الشعريات الذي ما يزال البحث فيه مستمرا لكونه مصطلحا فضفاضا يتسع لمختلف النظريات الأدبية الحديثة والمعاصرة. فقد تمكن الباحث من تقريب المفهوم إلى طبيعته من خلال الجمع بين رؤية العرب القدامى باعتبارهم أسياد الشعر وأهله، وبين الرؤية الغربية الحديثة التي تحاول أن تقاربه وفق التّطور التكنولوجي الحاصل وتعدد النّظريات الأدبية وتوالدها.

قائمة الإحالات:

[1]- مرتاض عبد الملك، قضايا الشعريات، متابعة وتحليل لأهم قضايا الشعر المعاصرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، دط، دت، ص11.

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- j.cohen ,structure de langage poétique, p.7, flammarion, paris, 1966.

4- ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، 1-5، تحقيق: محمود محمد شاكر، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، دت.

5- عبد الملك مرتاض، قضايا الشعريات، (مرجع سابق)، ص16.

6- المرجع نفسه، ص17.

7- الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 2،،1969، 3.131.

8- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، دار الثقافة، ج1، 1964، ص10و11.

9- مرتاض، قضايا الشعرية، ص23.

10- ابن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، د ط ، د ت، ص5.

11- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي ومكتبة المثنى ببغداد، 1963، ص15.

12- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص71.

13-الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط 2 ، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969، ص 3/ 131.132.

14-عبد الملك مرتاض، قضايا الشعريات، ص23.

15- المرجع نفسه، ص35.

16-المرجع نفسه، ص40.

17- عبد الملك مرتاض، قضايا الشعريات، ص41.

18-ينظر: نفسه، ص50.

19- المرجع نفسه، ص52.

20-- Oswald D,& Jeane-Mane, , Nouveau dictionnaire encyclopédique des Sciences du langage,paris, Ed.du seuil, paris, 1995. ,p.209.

21- j.cohen ,structure de langage poétique Flammarion, paris,1966. ,p7.

22-نظر : عبد الملك مرتاض، قضايا الشعريات، ص56.

23-J.p.sartere ,Situations,3 ,paris,Gallimard,1949,p247.

24-J.cohen,structure de langage poétique,paris,Flammarion ,1966,p7.

25- ينظر، عبد الملك مرتاض، قضايا الشعريات، ص.65

26-Roman Jakobson ,Huit questions de poétique, p.31,Editions du sueil, Paris,1977.:

27- عبد الملك مرتاض، قضايا الشعريات، ص67و68.

28-المرجع نفسه، ص70.

قائمة المصادر والمراجع:

1-ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، 1-5، تحقيق: محمود محمد شاكر، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، دت.

2- ابن طباطبا، أبو الحسن محمد العلوي، عيار الشعر، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط ، د ت.

3-ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، دار الثقافة، بيروت، ج1، 1964.

4- أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي ومكتبة المثنى ببغداد، 1963.

5-الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2 ، 1969.

6- مرتاض عبد الملك، قضايا الشعريات، متابعة وتحليل لأهم قضايا الشعر المعاصرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، دط، دت.

7- Oswald D,& Jeane-Mane, , Nouveau dictionnaire encyclopédique des Sciences du langage,paris, Ed.du seuil, paris, 1995. ,p.209,

8- j.cohen ,structure de langage poétique Flammarion, paris,1966. ,p7.

9- J.p.sartere ,Situations,3 ,paris,Gallimard,1949,p247.

10-Roman Jakobson ,Huit questions de poétique, p.31,Editions du sueil, Paris,1977.:

.